

## يثرب

**أ الموقع والمناخ** \_ تقع مدينة يثرب على بعد 300 ميلا شمال مكة في حرة سبخة الارض كثيرة المياه والشجار والدوحات , فوق هضبة بلاد العرب الوسطى , واقرب الجبال اليها هو جبل احد ويقع في شمالها (١١) .

وذكر اليعقوبي ان ليثرب (( أربعة أودية يأتي مأوها في وقت الامطار والسيول في جبال بموضوع يقال له حرة بني سليم على مقدار عشرة فراسخ من المدينة وهي \_ وادي بطحان والعتيق الكبير والعتيق الصغير ووادي قناة , وتجتمع مياه هذه الالودية كلها بموضوع يقال له الغابة ويخرج الى وادي يقال له وادي اضم )) (١٢) .

وامتازت يثرب بكثرة الابار والعيون واشهر تلك الابار بئر رومة وبئر عروة ويعتمد عليها سكان يثرب طوال السنة بالإضافة الى آبار اخرى , اما العيون فمنها \_ عين الصوريين وعين ثنية مروان وعين الخانقين وعين ابي زياد وعين برد أزواج النبي (١٣) .

اما حرات يثرب فهي ثلاث \_ حرة واقم في الشرق , وعرفت أيضا بحرة قريظة لانهم كانوا ينزلون بطرفها القبلي , كما عرفت أيضا بحرة زهرة لمجاورتها لها . وزهرة من اعظم قرى يثرب بين حرة واقم والسافلة , ثم حرة الوابرة في الغرب من يثرب وعرفت بحرة بني بياضة , وكانت على بعد ثلاثة اميال من يثرب مشرفة على وادي العتيق الذي يليها غربا , ثم حرة قباء وتقع الى الجنوب من يثرب هي \_ حرة شوران وحرة ليلي , وحرة النار بالقرب من حرة ليلي (١٤) .

والمناخ في يثرب شبيه بمناخ مكة فهو شديد الحرارة صيفا وبارد شتاء . وتسقط امطارها في أوقات قصيرة ولكنها بعنف محدثة سيولا في كثير من الاحيان , وتتخلف عن هذه الامطار غدران ومستنقعات وبرك , ومن أشهر الغدران في وادي العتيق \_ غدير السدر وغدير خم وغدير سلافة وغدير البيوت , وغدير حصير , وغدير المجاز , وغدير المرسى , وينشأ عن ركود المياه في هذه المناطق انتشار الالوبئة والامراض (١٥) .

**ب اسماء يثرب** : يثرب مدينة قديمة ورد ذكرها في الكتابات المعينية , وقد اقامت فيها بعض الجاليات المعينية , ثم آل امر المدينة الى السبئيين بعد سقوط الدولة المعينية وقد ورد ذكر يثرب في جغرافية بطليموس باسم يثرب lathrippa وفي نقوش سبأ : ي ث ر ب , وذكرها اصطيفانوس البيزنطي باسم lathrippa polis (١٦) .

أما عند الاخباريين العرب فقد عرفت باسم اثرب ويثرب , وذكر المسعودي أن يثرب سميت كذلك نسبة الى يثرب بن قانية بن مهليل بن أرم بن عييل نزلها فسميت باسم (١٧) .

ويرى بعض المؤرخون ان يثرب مأخوذة من الثرب بمعنى الفساد أو التثريب أي المؤخوذة بالذنب , وقيل ان الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن تسمية يثرب بهذا الاسم , وسماها طيبة

وطابة كراهية للتثريب (١١) وقد ورد ذكر يثرب في القرآن الكريم فقال (( واذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبي يقولون انن بيوتنا عورة , وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا )) (١٢) .

وبعد هجرة الرسول الكريم من مكة الى يثب اصبح اسمها (( المدينة )) أي مدينة الرسول وقد عرفت باسماء أخرى كثيرة منها \_ طيبة وطابة والمسكينة والعذراء والجبارة والمحبة والمحبة والمحبرة والناجية وغير ذلك وذكر بعض المؤرخين ان لها 94 اسما (١٣) .

**ج. الحياة الاقتصادية في يثرب** \_ تعتبر يثرب واحة حقيقة ذات تربة صالحة للزراعة , فارضها بركانية خصبة وتتوافر فيها مياه الاودية والعيون والآبار , ويأتي النخيل في مقدمة الحاصلات الزراعية في يثرب (( فأكثر اموال اهلها النخل ومنه معاشهم واقواتهم , واخراجها من أعشار النخيل والصدقات )) (١٤) . وبالإضافة الى شهرة يثرب بانتاج افضل انواع التمور , قامت فيها زراعة الحبوب المختلفة ويأتي الشعير في المرتبة الثانية بعد التمور , ثم القمح وانواع الفواكه كالعنب والموز والرمان والليمون والبطيخ(١٥).

وكان لموقع يثرب على طريق القوافل التجارية بين اليمن والشام أثره في نشاط الحركة التجارية فيها ذكر اليعقوبي ذلك فقال (( أن البحر الاعظم البحر الاحمر )) يبعد منها على ثلاثة أيام , وساحلها موضع يقال له (الجار) , اليه ترسي مراكب البحار والمراكب التي تحمل الطعام من مصر )) (١٦) فكانت تصل الى يثرب منتجات الشام واليمن سالكة الطريق البري والطريق البحري عبر البحر الاحمر , واقيمت الاسواق التجارية ومن أشهر تلك الاسواق في الجاهلية : سوق بني قينقاع , وسوق زباله , وسوق الجسر , وسوق الصفاصيف , وسوق البطحاء (١٧) .

أما من الناحية الصناعية فقد قامت في يثرب بعض الصناعات البسيطة كصناعة الخمر المستخرجة من التمور , ثم صناعة المكائل والققف من سعف النخيل , كما برع يهود بني قينقاع بصناعة التحف المعدنية كالحلي وأدوات الزينة ثم صناعة الاسلحة والدروع (١٨) .

**د. سكان يثرب** \_ كان أول من نزل من يثرب هم العماليق , فأقام فيها قبائل منهم \_ بنو هف وسعد بن هفان وبنو مطرويل \_ ثم سكنها بعدهم اليهود , وبعد السيل العرم وانهيار سد مأرب قدمت الى يثرب قبائل الاوس والخزرج فانتشرت في جنوبها وشمالها حتى أحد (١٩) .

(1) اليهود \_ ذكر الاخباريون العرب ان اول سكن لليهود بالحجاز ويثرب كان على أيام موسى بن عمران عليه السلام فزعموا انه أرسل جندا من بني اسرائيل الى الحجاز وأمرهم بان لا يستقبوا من العماليق احدا بلغ الحلم (فقدّموا فأظهرهم الله , فقتلوه , واصابوا ابن ملكهم الارقم وكان احسن الناس وجها فلم يقتلوه واخذوه معهم الى موسى عليه السلام والذي كان قد توفي قبل عودتهم فلم يسمح لهم اليهود بالاقامة بالشام لانهم خالفوا أمر نبيهم , فرجعوا الى الحجاز واقاموا به ونزل جمهورهم يثرب ) (٢٠) .

أما الروايات اليهودية فتبدوا اقرب الى الحقيقة من الرواية السابقة ، فذكر بنو قريظة ان الروم ظهوروا على الشام فقتلوا من بني اسرائيل خلقا كثيرا ، فخرج بنو قريظة والنضير وهذل هاربين من الشام يريدون الحجاز الذي فيه بنو اسرائيل ليسكنوا معهم فلما فصلوا من الشام وجه ملك الروم في طلبهم ن يردهم فاعجزوا رسله وفاتوهم ((١٧) .

وهكذا كان ظهور الروم في بلاد الشام ومهاجمتهم فلسطين قد أدى الى تقويض اركان الدولة اليهودية فبسط الروم نفوذهم على البلاد الا أن اليهود اليهود قاموا بعدة ثورات ، فعمد الرومان الى استعمال الشدة في اخماد تلك الثورات فاضطر اليهود الى النزوح الى الجزيرة لعربيه (( التي كانت احب اليهم من غيرها نظرا لأنظمتها البدوية الحرة ونظرا لوجودها في أقاليم رملية بعيدة تعوق سير القوات الرومانية المنظمة وتمنع توغلها )) (١٨) .

وفي سنة 70 م قام الرومان في عهد الامبراطور طيطس بمهاجمة اليهود فدمروا معبدهم (( هيكل بيت القدس )) مما أدى الى هروب من بقي منهم الى جزيرة العرب فاستوطنوا أخصب بقاع الحجاز في يثرب وفدك وخيبر وتيماء ووادي القري(١٩) .

وكانت يثرب تضم من اليهود قبل أن يسكنها الاوس والخزرج قبائل \_ بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محمر وبنو زعقرا وبنو قينقاع وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل وبنو عوف وبنو القصيص . وفي يثرب اقام هؤلاء اليهود الحصون ( الاطام ) على قمم الجبال ليتحصنوا بمها في اوقات الحروب ويلجأ اليها النساء والشيخ والاطفال فكثروا ما كان اليهود يتعرضون لغزو الطامعين في اموالهم وحصالاتهم الزراعية من الاعراب او البطون اليهودية الاخرى ، ومن اشهر تلك الحصون حصن الابلق للسمل وحصن القمومي لبني ابي الحقيق وحصون السلام والوطيح وناعم وسعد بن معاذ(٢٠) . وكان اكبر تلك القبائل اليهودية في يثرب ثلاث - بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع واقامت بجوارهم بطون يهودية صغيرة فكان بنو قريظة ينزلون على وادي مهزور مع اخوانهم بنو هذل وعمر ، اما بنو النضير فقد نزلوا على مذيئيب ، ونزل بنو قينقاع عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية (٢١) . وقد تأثر هؤلاء بجيرانهم العرب ، فانقسموا الى قبائل وبطون ، واتخذوا اسماء عربية ، ( وكانت لغتهم العربية لكنها غير خالصة مشوبة بالרטانة العبرية لانهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركا تماما بل كانوا يستعملونها في صلواتهم ودراساتهم فكان من الضروري ان يدخل في عربيتهم بعض كلماتها ) (٢٢) .

2. العرب : كان يسكن يثرب مع اليهود عدة بطون عربية قبل هجرة الاوس والخزرج من تلك البطون - بنو الحرمان وهم حي من اليمن ، وبنو مرثد حي من بلي ، وبنو نيف حي من بلي ايضا ، وبنو معاوية وهم حي من بني سليم ، ثم بنو الحارث بن بهته وبنو الشظية حي من غسان ، وقد بقيت هذه البطون العربية اديان اباؤها القديمة ولم تعتق اليهودية فعدت من موالي (٢٣) . ثم نزحت قبائل الاوس والخزرج من اليمن على أثر انكسار سد مأرب ( السيل العرم ) فنزلوا يثرب

واقاموا فيها مع اليهود فسكن الاوس جنوب وشرق يثرب اما الخزرج فسكنوا في شمالها الغربي وجاوروا يهود بني قينقاع ووجد الاوس والخزرج ان السيادة في يثرب لليهود والاموال والآطام بأيديهم والعدة والقوة معهم فرغبوا في مسلمتهم وسألوهم ان يعقدوا معهم حلفا وجوارا يأمن به بعضهم من بعض فأجابهم اليهود الى ذلك رغبة منهم في ضمان سيادتهم على يثرب من جهة وليستخدموا حلفاءهم في الدفاع عنها من جهة اخرى بالإضافة الى الاستفادة من خبرات هؤلاء العرب في المجال الزراعي والتجاري (١١) .

وقد افاد عرب الاوس والخزرج من هذا الحلف وصار لهم مال وعدة ، الامر الذي أثار مخاوف اليهود فسعوا الى نقض الحلف الذي بينهما ، " فأقامت الاوس والخزرج في منازلهم وهم خائفون ان تحتلهم يهود " فظهر بين الاوس والخزرج رجل انف ان يظل قومه تحت رحمة اليهود ، فعزم على وضع حد لذلك الرجل هو مالك بن العجلان ، وتذكر الروايات العربية ان مالك وثب على زعيم يهودي يقال له الفطيون وقتله ، ثم خرج الى بلاد الشام ملتصقا بالنصرة من ابي جبيلة الغساني (١٢) على يهود يثرب ، فلم يتردد الملك الغساني في نصرته وسار الى بلاد متظاهرا بقصد بلاد اليمن فلما اصبح على مشارف يثرب اتصل بزعماء الاوس والخزرج الذين نصحوه بدعوة رؤوساء اليهود ووجوههم واستئصالهم ، فصنع ملك غسان طعاما دعي اليه رؤوساء اليهود فلما حضروا عنده وثب عليهم وقتلهم عن اخرهم ، فاصبح للعرب الغلبة على يهود يثرب . واتخذوا الديار والاموال " وتفرقت الاوس والخزرج في عالية المدينة وسافلتها ونزل بعضهم في مناطق كانت مهجورة فعمروها ومنهم من لجأ الى قرية من قرى يثرب واتخذوا الاموال والالهام ، وابتتوا مائة وسبعة وعشرين أطما (١٣) .

الا ان الخلاف سرعان ما وقع بين الاوس والخزرج فاندلعت الحروب بين الطرفين واستمرت حتى قبيل الهجرة النبوية الى يثرب ، وكان اول تلك الحروب الحرب المعروفة بحرب سكير ، ثم يوم السرارة ويوم الديك ويوم فارح ، ثم يوم الفجار الاول والثاني وكان اخرها يوم بعث الذي حدث قبل الهجرة بخمس سنين وقد لعب يهود يثرب دورا بارزا في اشعال نيران الفتنة بين الاوس والخزرج طعما في تقتيت وحدتهم واملا في استرجاع سيادتهم في يثرب (١٤) وكان من نتائج الحروب بيت عرب الاوس والخزرج اضطراب الحياة الاقتصادية في يثرب وفقد الفريقان خسائر كبيرة في الارواح والاموال والاملاك ، الامر الذي دفعهم الى التفكير بإحلال السلام بينهما ، لقطع الطريق امام يهود يثرب الذين كانوا يسعون الى ابقاء الخلاف بين الاوس والخزرج فاتفق رأيهما على تولية واحد منهم اميرا وسيدا عليهم ، فكان عبد الله بن علي بن سلول العوفي سيدا على الخزرج وابي عامر عبد عمر بن صيفي بن النعمان سيدا على الاوس وبينما كانت الخزرج تتويج عبدالله ابن ابي ملكا وتنظم له الخرز - شار الملك عندهم - فاجأهم الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم بالهجرة

المباركة الى يثرب ، تلك الهجرة التي كانت نقطة تحول في تاريخ الاسلام ، فلما رأى عبدالله بن ابي انصراف قومه عنه ودخلهم في الاسلام " دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضعن " ( ١١ ) .

اما ابو عامر سيد الاوس فانه غادر يثرب في بضعة عشر رجلا الى مكة مفارقا للإسلام ، فلما فتح الله تعالى على رسوله مكة تركها الى الطائف فلما فتحها الرسول صلى الله عليه وسلم ودخل اهلها في الاسلام سار الى بلاد الشام حيث مات هناك ( ١٢ ) .